هارتموت روزا: التسارع الاجتماعي

تقديم:

أصبح الزمن في المجتمعات الحديثة ليس مجرد إطار محايد لتنظيم الفعل الاجتماعي،بل تحول إلى عنصر بنيوي حاسم في تشكيل العلاقات الاجتماعية وأنماط السلطة داخل التنظيمات،إذلم يعد التغير هو السمة الأساسية بل تسارع التغير ذاته،بحيث أضحى المجتمع يعيش حالة من التسارع المستمر الذي يعيد تشكيل الايقاع اليومي للأفراد والمؤسسات.

وفي هذا السياق يندرج مشروع "هارتمزت روزا" ضمن محاولة تجديد النظرية النقدية،من خلال نقل مركز التحليل من مفاهيم العقلنة والهيمنة الاقتصادية إلى مفهوم الزمن الاجتماعي،إذ يرى هذا التسارع ليس مجرد ظاهرة تقنية بل منطقا بنيويا ينتج أنماطا جديدة من الضغط التنظيمي والاغتراب.

وهذا التحليل يسمح بفهم التحولات التي يعرفها العمل المعاصر،خاصة في ظل الرقمنة والعولمة،حيث تتكثف الضغوط الزمنية داخل المؤسسات ويتحول الأداء إلى وظيفة زمنية بالأساس.

أولا: التعريف بالشخصية:

يعد "هارتمونت روزا" أحد أبرز منظري الجيل الجديد من مدرسة فرانكفورت النقدية، وقد ولد سنة 1965 في ألمانيا،إشتغل أستاذا لعلم الاجتماع وتركزت أبحاثه حول الزمن، الحداثة، الاغتراب والعلاقة بين الانسان والعالم.

تتسم أعماله بمحاولة تجديد النظرية النقدية من خلال إدخال مفهوم الزمن كعنصر مركزي في تحليل الحداثة، خصوصا في كتابه "التسارع الاجتماعي: نظرية نقدية للحداثة المتأخرة"(2005)ثم تطويره لاحقا في كتاب الاغتراب والتسارع 2010 وأخيرا في كتاب الرنين 2016.

ينطلق "روزا "من نقد التصورات الكلاسيكية للحداثة التي ركزت على العقلنة أو الرأسمالية، ليؤكدأن السمة الحاسمة للحداثة المتأخرة هي التسارع الذي أصبح بنية حاكمة لكل مجالات الحياة

ثانيا:التسارع الاجتماعي مقاربة معرفية:

يشكل مفهوم التسارع الاجتماعي عند" روزا" تحولا نوعيا في مسار النظرية السوسيولوجية المعاصرة،حيث لم يعد الزمن مجرد متغير تابع ضمن التحليل الاجتماعي،بل أصبح متغيرا مستقلا ومحدد لبنية الحداثة ،إذ اقترح إعادة توجيه التحليل نحو ديناميات الزمن باعتبارها المفتاح لفهم التحولات البنيوية التي يعرفها المجتمع الحديث.

1- تعريف التسارع الاجتماعي:

يعرفه "روزا" بأنه: زيادة كمية في عدد العمليات لكل وحدة زمنية(روزا،2019،ص45) ويشمل هذا التعريف ثلاث دلالات أساسية وهي:

الكمية: زيادة عدد الأفعال أو الوحدات في وحدة زمنية واحدة

النوعية: تغير طبيعة الخبرة الزمنية للأفراد

البنيوية: تحول التسارع إلى شرط من شروط استمرارية النظام الاجتماعي

2- الجذور النظرية لمفهوم التسارع الاجتماعي: لايظهر مفهوم التسارع عند "روزا "من فراغ بل يتأسس على تفاعل عدة تقاليد نظرية:

أ- الامتداد النقدي لمدرسة فرانكفورت:يندرج" روزا "ضمن الجيل الثالث للنظرية النقدية،حيث يسعى إلى تجديد مشروعها عبر إدخال الزمن كأداة تحليلية مركزية،فبدل التركيز على الهيمنة الاقتصادية أو الأيديولوجية،يبرز "روزا " كيف يمارس الزمن نفسه وظيفة الهيمنة، ويرى أن التسارع يمثل شكلا جديدا من الاغتراب حيث يفقد الأفراد السيطرة على إيقاع حياتهم، وهو مايوسع مفهوم الاغتراب الكلاسيكي ليشمل البعد الزمني(3،ص-67)

ب- التقاطع مع حداثة أنطوني غيدنز: يتقاطع "روزا" مع "غيدنز" في فكرة انفصال الزمان والمكان،حيث لم يعد الزمن مرتبطا بالسياق المحلي،بل أصبح مجردا وقابلا للقياس والتوحيد(4،ص78) غير أن "روزا "يذهب أبعد من ذلك إذ يرى أن هذا الانفصال يؤدي إلى تسريع الايقاع الاجتماعي بشكل غير مسبوق

ج- التقارب مع الحداثة السائلة لزيغمونت: يتقاطع مفهوم التسارع مع فكرة السيولة حيث يؤدي تسارع التغير إلى تفكك البنى الاجتماعية واستبدالها بأشكال مرنة وغير مستقرة(5،ص 91)إلا أن "روزا" يضيف بعدا تفسيريا من خلال ربط هذه السيولة بمنطق زمني محدد هو التسارع.

د- الامتداد إلى سوسيولوجيا الزمن: يرتبط مشروع" روزا" بأعمال سوسيولوجيا الزمن التي تناولت كيفية تنظيم الزمن اجتماعيا،إلا أنه يتميز عنها بتركيزه على الدينامية بدل البينة،أي على كيفية تسارع الزمن بدل مجرد تنظيمه(6،ص54)

3- التسارع كضرورة بنيوية للحداثة: يرى "روزا" أن التسارع ليس خيارا بل ضرورة بنيوية تفرضها ثلاثة محركات رئيسية وهي

أ- المحرك الاقتصادي: المنافسة المستمرة مع ضرورة الابتكار المستمر

ب- المحرك الثقافي: الرغبة في تعظيم التجارب والبحث عن الاشباع السريع

ج- المحرك البنيوي: الحاجة إلى التحديث للحفاظ على الاستقرار

ويؤدي تفاعل هذه المحركات إلى خلق دائرة تسارع ،حيث يصبح التباطؤ تهديدا لبقاء النظام

4 - التسارع والزمن الاجتماعي: في ظل التسارع يتحول الزمن من كونه إطارا خطيا إلى موردقابل للادارة والاستثمار ويظهر ذلك في : قياس الزمن بدقة، تحويله إلى أداة إنتاج، إخضاعه لمنطق الكفاءة

مماسبق يتضح أن مفهوم التسارع الاجتماعي يتأسس على تفاعل غني مع التراث السوسيولوجي مع تقديم لإضافة نوعية تتمثل في تحليل الحداثة من خلال إيقاعها الزمني

ثالثا: أبعاد التسارع الاجتماعي:

لايتعامل "هارتموت موزا" مع التسارع الاجتماعي بوصفه ظاهرة أحادية البعد،بل باعتباره بنية مركبة تتجسد عبر مستويات متداخلة تشمل التقنية، والبنية الاجتماعية، والتجربة الذاتية للزمن، وتكمن أهمية هذا التقسيم في كونه يسمح بفهم كيف ينتقل التسارع من المجال المادي إلى المجال الرمزي،ثم إلى مستوى الاحساس الفردي مما يجعله ظاهرة كلية تطال مختلف أبعاد الحياة الحديثة، وفي هذا الاطار يميز "روزا" بين ثلاثة أبعاد أساسية للتسارع الاجتماعي،تشكل في مجموعها مايمكن تسميته بنظام التسارع الشامل.

- التسارع التكنولوجي: يمثل البعد الأكثر وضوحا وملموسية،حيث يتعلق بتسريع وسائل الانتاج، والنقل، والاتصال بما يؤدي إلى تقليص الزمن اللازم لانجاز المهام،غير أن أهمية هذا البعد لاتكمن فقط في زيادة السرعة بل في إعادة تشكيل العلاقة بين الزمن والفعل، بحيث يصبح الانجاز الفوري معيارا طبيعيا للأداء.

ففي المجتمعات المعاصرة لم تعد التكنولوجيا مجرد أداة لتسهيل العمل ،بل تحولت إلى قوة ضاغطة تفرض إيقاعا متسارعا على الأفراد والتنظيمات. ويظهر ذلك بوضوح في الانتقال من التواصل البطيء كالرسائل التقليدية إلى التواصل اللحظي عبر الوسائط الرقمية، وهو ما أدى إلى إلغاء زمن الانتظار كعنصر من عناصر التفاعل الاجتماعي(2،ص 63)

كما أن هذا التسارع يخلق مايسميه "روزا" ضغط الامكانية التقنية،حيث يصبح كل ماهو ممكن تقنيا متوقعا اجتماعيا،مما يزيد من عبء الأداء داخل المؤسسات(1،ص58)

- تسارع التغير الاجتماعي: يتجاوز التسارع المجال التقني ليطال البنيات الاجتماعية والثقافية،حيث تتسارع وتيرة التغير في القيم والأدوار الاجتماعية، وأنماط العيش مماىؤدي إلى تآكل الاستقرار البنيوي الذي ميز المجتمعات التقليدية.

يشير "روزا" إلى المؤسسات الاجتماعية –كالاسرة والصحة والتعليم لم تعد تتمتع بالثبات النسبي الذي كان يميزها،بل أصبحت خاضعة لتحولات متسارعة تجعلها في حالة سيولة دائمة(1،ص92) ويترتب عن ذلك تقليص التوقعات المستقبلية،حيث يصبح التخطيط طويل المدى أكثر صعوبة نظرا لعدم استقرار الشروط الاجتماعية.

كما يظهر هذا البعد في التحولات السريعة للهوية المهنية،حيث لم يعد الفرد ينتمي إلى مسار مهنيثابت،بل ينتقل بين وظائف متعددة خلال حياته، وهو مايخلق حالة من اللايقين المهني(4،ص135)، ومن زاوية أخرى يؤدي تسارع التغير الاجتماعي إلى مايمكن تسميته تقليص الحاضر، حيث يصبح الزمن الحاضر قصي الأمد ويتم إستبداله بسرعة،مما يضعف إمكانية ترسيخ التجارب الاجتماعية في الذاكرة الجماعية(1،ص101)

- تسارع وتيرة الحياة:يمثل هذا البعد المستوى الذاتي للتسارع،حيث ينعكس التسارع التكنولوجي والاجتماعي على تجربة الأفراد للزمن، ويتمثل ذلك في الشعور الدائم بضيق الوقت وكثرة المهام وتسارع الايقاع اليومي للحياة.

ويؤكد" روزا" أن هذا البعد يشكل المفارقة الأساسية للتسارع،حيث أنه رغم توفر وسائل توفر الوقت،إلا أن الأفراد يشعرون بنقصه بشكل متزايد وهو مايعرف بمفارقة التسارع(1،ص 102) ويرجع ذلك إلى أن تسريع الانجاز يؤدي إلى زيادة عدد الأنشطة وليس إلى تقليل الجهد. كما يظهر هذا التسارع في تعدد الأدوار التي يؤديها

الفرد في وقت واحد، وفي محاولة تحقيق أكبر قدر ممكن من التجارب خلال زمن محدود وهو مايعكس تحولا ثقافيا نحو تكثيف الحياة(6،ص 59).

يتضح مماسبق أبعاد التسارع الاجتماعي عند "روزا" لاتمثل مجرد تصنيف وصفي،بل إطارا تفسيريا يسمح بفهم التحولات العميقة التي تعرفها المجتمعات الحديثة،فالتسارع التكنولوجي يعيد تشكيل شروط الفعل، وتسارع التغير الاجتماعي يزعزع الاستقرار البنيوي،بينما يؤدي تسارع وتيرة الحياة إلى إعادة تشكيل التجربة الذاتية للزمن، وعليه فإن فهم الضغط التنظيمي داخل المؤسسات لايمكن أن يتم بمعزل عن هذه الأبعاد الثلاثة،التي تشكل مجتمعة البنية الزمنية التي يخضع لها الفعل الاجتماعي المعاصر.

رابعا: التسارع كمنطق تنظيمي

إذا كان التسارع الاجتماعي يمثل السمة البنيوية للحداثة ،فإن تأثيره لايتوقف عند حدود الزمن العام للمجتمع،بل يتجسد بشكل أكثر كثافة داخل التنظيمات الحديثة،التي تتحول إلى فضاءات زمنية مضبوطة بدقة، وفي هذا السياق لم يعد التسارع مجرد سياق خارجي تعمل ضمنه المؤسسات،بل أصبح منطقا داخليا يحكم بنيتها ووظائفها، ويوجه أنماط الفعل داخلها.

وينطلق "روزا" من فرضية مفادها أن التنظيمات الحديثة لايمكنها الحفاظ على استقرارها إلا من خلال التسارع المستمر،أي عبر التحديث الدائم، وزيادة الانتاجية وتقليص الزمن، وهو مايجعل الزمن موردا إستراتيجيا يخضع لارادة صارمة(1، ص120)

1- التنظيم كنسق زمني: لم يعد التنظيم بفهم كهيكل هرمي أو شبكة علاقات،بل كنسق زمني يتم فيه توزيع الأفعال وفق إقاعات محددة،فالمؤسسة الحديثة سواء كانت اقتصادية أو تعليمية أو إدارية تعمل على ضبط الزمن الداخلي عبر آليات دقيقة مثل : الجداول الزمنية،آجال التسليم، تقسيم العمل إلى وحدات زمنية

وبهذا فإن" روزا" يؤكد أن هذا التحول يعكس انتقال التنظيم من إدارة الموارد إلى إدارة الزمن، حيث يصبح التحكم في الزمن شرطا للتحكم في الأداء(1،ص126)

2- التسارع وهيكلة العمل: يؤدي التسارع إلى إعادة تشكيل بنية العمل داخل التنظيمات ،حيث يتم تقليص الزمن المخصص لكل نشاط، وزيادة كثافة المهام، وهو ماينتج عنه مايسميه "روزا" تكثيف العمل(1،ص132)

أ- ضغط الانجاز: يطلب من الأفراد إنجاز عدد أكبر من المهام في وقت أقل،مما يحول العمل إلى سلسلة من الأفعال المتسارعة.

ب- تقليص الزمن الميت: تسعى التنظيمات إلى القضاء على فترات التوقف أو الانتظار باعتبارها هدرا زمنيا(3،ص101)

ج- تعدد المهام:يُدفع العامل إلى أداء عدة مهام في آن واحد، وهو مايعكس تحولا من العمل المتسلسل إلى العمل المتوازي.

3- التحديث الدائم:يرى "روزا" أن المؤسسات الحديثة تعيش مايسميه الاستقرار الديناميكي،أي أن الحفاظ على الوضع القائم يتطلب حركة دائمة نحو التحديث(1،ص98) ويظهر ذلك في : إعادة هيكلة مستمرة،تحديث

التقنيات،تغيير استراتيجيات العمل، وهذا مايجعل التنظيم في حالة حركة دائمة،حيث يصبح التوقف عن التغيير مرادفا للتراجع أو الفشل.

4- التسارع والمرونة القسرية: أبرز انعكاسات التسارع داخل التنظيمات هو ظهور مايمكن تسميته المرونة القسرية، حيث يطلب من الأفراد التكيف المستمر مع تغيرات سريعة وغير متوقعة

أ-مرونة الزمن: العمل خارج الأوقات المحددة، التوفر الدائم

ب- مرونة المهام:تغيير الأدوار بشكل متكرر، التكيف مع مهام جديدة

ج مرونة المكان:العمل عن بعد، العمل المتنقل

ويؤكد "روزا" أن هذه المرونة ليست اختيارية،بل مفروضة منطقيا بفعل التسارع،مما يحولها إلى شكل من أشكال الضغط التنظيمي(1،ص140)، ومنه فالمرونة تؤدي إلى تآكل الحدود بين الحياة المهنية والشخصية، مما يعزز الاحساس بالضغط الزمني.

5- الزمن والضبط التنظيمي: في ظل التسارع يتحول الزمن من إطار محايد إلى أداة مركزية للضبط داخل التنظيمات،فبدل الرقابة المباشرة يتم التحكم في الأفراد عبر تحديد إيقاع عملهم

أ- ضبط الايقاع: يتم تحديد سرعة الأداء عبر مؤشرات زمنية دقيقة

ب- قياس الانتاجية زمنيا:يتم تقييم العاملين بناء على سرعة الانجاز

ج-الرقابة غير المباشرة: يصبح الاتزام بالوقت بديلا عن الرقابة المباشرة

أن هذه الآليات تجعل من الزمن وسيلة هيمنة ناعمة،حيث يخضع الأفراد لايقاع مفروض دون إدراك مباشر لآليات السيطرة(1،ص 156)

6- الرقمنة والمنطق التنظيمي: ساهمت الرقمنة في تعميق التسارع داخل التنظيمات ،حيث أصبح الزمن فوريا والتفاعل لحظيا.

أ- تسريع التواصل: البريد الالكتروني، المنصات الرقمية

ب- تسريع اتخاذ القرار: نظام المعلومات، الذكاء الاصطناعي

ج- الرقابة الرقمية: تتبع الأداء،تحليل البيانات

يتضح مما سبق أن التسارع كمنطق تنظيمي لايقتصر على تسريع العمليات ،بل يشمل إعادة تعريف العمل،الزمن والسلطة داخل المؤسسات،وبالتالي فالتنظيم الحديث يقوم على إدارة الزمن أكثر من إدارة الموارد،و يعتمد على التحديث المستمر بدل الاستقرار ويستخدم الزمن كأداة للضبط بدل الرقابة المباشرة، وعليه فإن فهم الضغط التنظيمي لا يمكن فصله عن هذا المنطق،حيث يشكل التسارع الاطار البنيوي الذي ينتج مختلف أشكال الضغط داخل العمل المعاصر.

خاتمة:

يتضح من خلال هذه المحاضرة أن فكرة "هارتموت روزا" حول التسارع الاجتماعي تُقدم إطارا تفسيريا عميقا لفهم التحولات التي يعرفها العالم المعاصر،خاصة داخل التنظيمات الحديثة،فالتسارع لم يعد ظاهرة تقنية بل أصبح بنية حاكمة تعيد تشكيل الزمن ،العمل والسلطة، كما أظهر التحليل أن هذا التسارع ينتج أماطا جديدة الضغط التنظيمي الذي سيتم التطرق إليه لاحقا،حيث يتحول الزمن إلى أداة للضبط والهيمنة،مما يؤدي إلى حالات من الاغتراب وفقدان المعنى.

وعليه فإن دراسة التسارع الاجتماعي تمثل مدخلا أساسيا لفهم إشكاليات العمل المعاصر،خاصة في ظل التحولات الرقمية، وهو مايجعل من مشروع "روزا" أحد أهم المشاريع السوسيولوجية الراهنة.

... بالتوفيق مع المحاضرة القادمة ...